العلم الثقافي

المدير: عبد الله البقالي

سنة: 57

سنة التأسيس: 1969/2/7

الجمعة 29 من ربيع الأول 1448

الموافق 11 شتنبر 2026

10 ، شارع زنقة المرج حسان الرباط

bachkarmohammed77@gmail.com

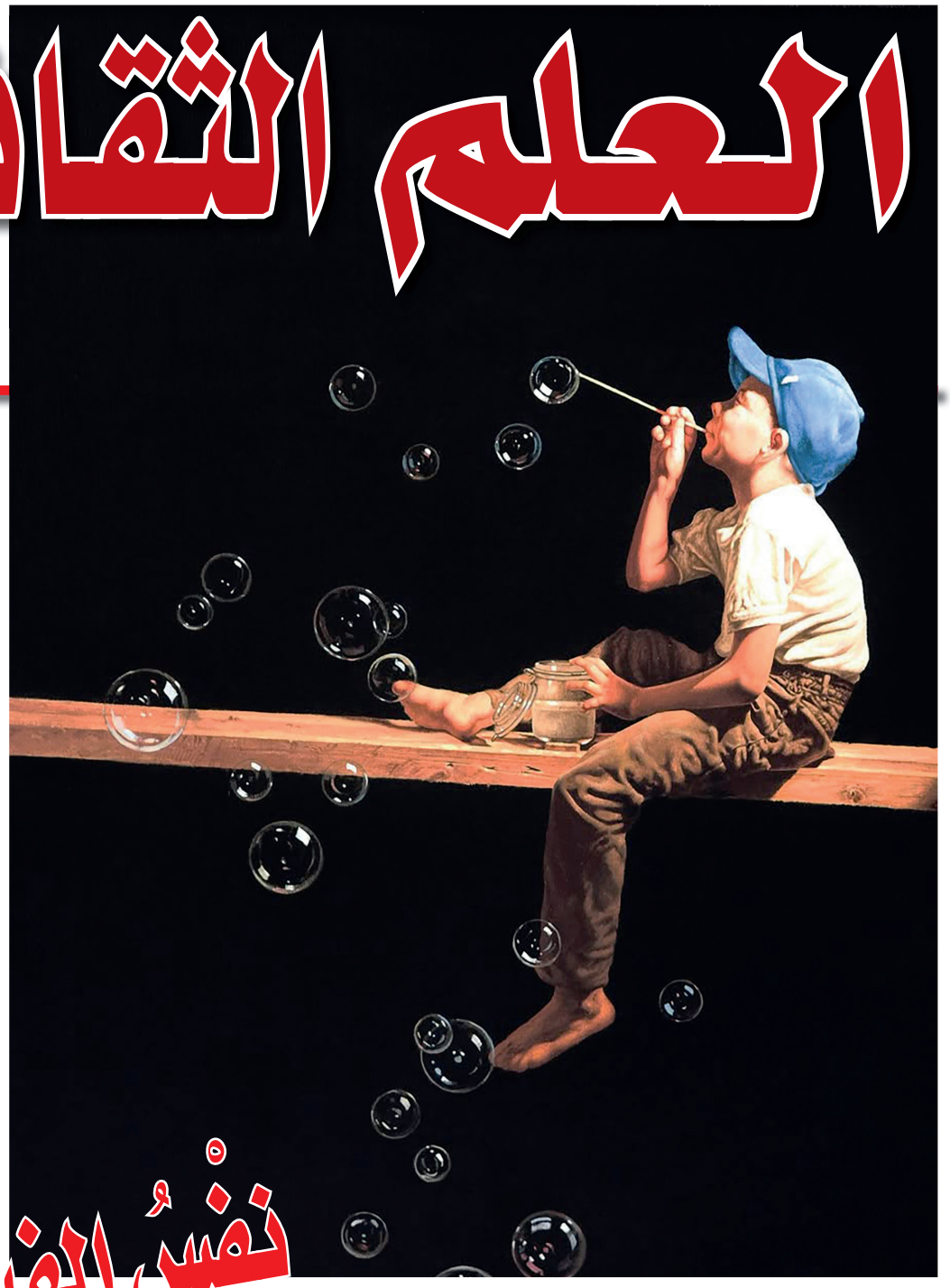

نفسُ الفيلم المِمل ولو تغيّر المُخْرج والممثل !

أقول لكم وأنا ضاجٌ بمسرحية الأقنعة تزيف واقعي، إن كل ما قيل سابقا أو سيقال لاحقا مجرد تخييل، فما أفظع أن يفقد الإنسان الثقة في كل شيء، ألم تنظر للشعور الممض باليأس الذي شل هذه الأيام فئات المجتمع، الجميع فقد الثقة في كل الإيديولوجيات بعد أن هيمن خطاب البيع والشراء، ما أفظع أن يحيا المرء مسلوب الروح دون تفكير، حاضره كأمسه بمستوى معيشي فقير، أما المستقبل فقد ضاع في عملية الصرف بين الماضي والمضارع، لا شيء يتغير في تاريخه الذي يحصي الأنفاس، سوى الأرقام، بينما السبورة المخصصة لتلقين الدروس والعِبَر، فمن طرائف الصدف التي تبعث على القرف، أنها ليست سوداء فقط، بل معلقة أيضا في جدار مسدود، فلا تسل من أين كل هذا التضبع الذي ينتج جيلا عاجزا عن مقاومة الواقع !

أفظع ما يمكن أن يعانيه منتج أفكار، سواء في مبتدأ حرفه أو منتهاه، في أول العمر أو آخر السطر، هو حمْلة التّدْفيه التي تحاصر حياته الثقافية من كل جانب، تُرى أي عدو خفي هذا يتقهقر بوعينا الجمْعي لكهوف بدائية سحيقة، ألم نَعِش ما يكفي من النكبات في هذا البلد، ومنها ما ارتجّت له الأرض بشعارات تهزُّ قدما وتحط أخرى، لتجري الشوارع بسيول الدم، حتى ليُخَيَّل للغارق في طوفان الغضب، أن البلد ضاعت ولا عَود ولا أحمد، لكن أخطر نكبة هي التي تعيشنا اليوم ونحن ننظر شاخصين فاقدي الإرادة، ألم تر كيف أصبح ذو الإسم دون إسم، والشيء لا شيء في بورصة القيم الجمالية أو الفكرية، أما التعليم فمن سخرية الأقدار، أنه بيع بأبخس الأثمان عموميا وأبهظها خصوصيا، ليغدو مجرد صفقة يتبادل أرباحها سماسرة نهب الفرص، ولا نملك إلا أن ننخرط مع الأطفال، في لعبة نفخ الفقاعات، ما أحلاها وهي تتطاير راقصة في الهواء، من قال إن صناعة الفقاعات صعبة، لا نحتاج إلا لقليل من الماء والصابون، وبعض الأنفاس ولو كانت كريهة، لنجعلها تحتل مكانة مرموقة عاليا فوق الشعب!

محمد بشكار

حقّاً كل ما قيل أو سيقال مجرد تخييل، وما أشبه الأمر بشعب في قاعة سينمائية محكمة الإغلاق، يعيش نفس الفيلم الطوباوي المُمِل، ولو تغير المخرج والممثل، ولا أحد يتجرأ على الواقع، لا أحد يقرع الخزان ويخرج من قاعة الأكاذيب السينمائية إلى الشارع!

يحلِّق اللقلاق مهاجرا أو مسافرا قَدْرَ ما يتسع الأفق، ولا يعود إلى عشه الوثير، إلا وقد ضمّ تحت جناحيه بعد إفراد كل ربوع البلاد، وها نحن ذا عفو الخاطر والشاعر، نعود دون كيف أو لماذا إلى عش هذا الملحق الوثير، يحذونا أمل أن نكسر بالاختلاف في الرأي والمعرفة، آفة التشابه الساخر التي تدجن العقول في قوالب دون سكر، ألم تر كيف جرف السّيل العرم لوسائل التكاسل الاجتماعي، كل غث وسمين، والأدهى أن ينحدر مع هذه الموجة وليتهم ركبوها بحس طلائعي، بعض الأكاديميين الذين كنا حتى الأمس القريب نحترمهم، ونعتبرهم صمّام أمان نقدي ومناعي للوعي الثقافي المغربي، لكنهم للأسف اندمجوا مع زمرة الكسالى، وفقدوا مع البوصلة غربال النقد، لاهثين وراء النقد المضروب بكل العملات في دار السكة، أسفي على مثقف استرخص نفسه ناطّا على أكثر من حبل مع القِردة، وباع الأدب بقلة الأدب، لا لشيء إلا ليرفع منسوب المشاهدة، فبئس الربح فساد الخلق، والأدهى من الأدهى أن اغترابهم الماضوي المريض، يوهمهم لمجرد قدرتهم على فتح الأفواه واسعا، بأقذع ألوان السَّباب والشتم والأباطيل، أنهم هُمُ الأمجاد الثقافية وهم الريادة، أما أجيال الأدباء والمثقفين ممن تقاطروا أو قطروا بعدهم دون سقف، فلا يستحقون إلا التبخيس والنكران ولِمَ لا الإبادة !

مايليه

يحيى عمارة

الْبَابُ الْأَزْرَقُ يَخْنُقُ أَنْفَاسِي ،
يَعْشَقُنِي الْأَلَمُ ،
الْحُلْمُ يُحَاصِرُنِي.
الْحِصَارُ كِيَانِي.
أَسْتَلْهِمُ حِكْمَةَ الدَّهْرِ
مِنْ صَمْتِ الْبَحْرِ ،
فِي عُيُونِ السَّمَكِ
أَقْرَأُ كُتُبَ الْفَقْرِ ،
مِنْ ذَاكِرَةِ الْجُغْرَافِيَةِ ،
بَيْنَ قِشْرَةِ رُمَّانَةٍ وَبَيْنَ عَرْشِ الْمَاءِ
أَرَى أَرْشِيفَ الْفُرْسَانِ
يُخَاطِبُنِي :
أَيْنَ التَّارِيخُ ،أَيْنَ السَّيْفُ الَّذِي كَانَ؟؟
الْبَابُ الْأَزْرَقُ يَخْنُقُ أَنْفَاسِي ،
صَدْرِي أَضْيَقُ مِنْ حَجْمِ الْقَبْرِ؛
تَسْكُنُهُ الْأَسْلَاكُ الْخَرْسَاءُ
تَرْثِيهِ عَابِرَةً أَفْوَاهُ الْحَقَائِبِ أَثْنَاءَ التَّفْتِيشِ.
فِي رَقْصَةِ مَلِحٍ ،
مِنْ مَسْكَنِ الْأَكْوَارْيُومِ
أَبْصَرْتُ الطِّينَ الْأَسِيرَ
يَمُدُّ يَدَيْهِ لِلْبَحْرِ ،
يَقُولُ لَهُ :
اشْهَدْ يَا كِتَابَ الرَّمْلِ
عَنْ دَمْعِ الشَّمْسِ
يَسِيلُ جَمْراً عَلَى خَدِّ الْأُمَّهَاتِ
فِي كُلِّ الْمَسَاءَاتِ
يَتَرَقَّبْنَ أَنْبَاءَ الرِّيحِ السَّوْدَاءِ.
إِنَّ الرِّيفَ وَارِفٌ يَكْبُو عَلَى جُرْحٍ ،
فِي عُرُوقِ الْوَطَنِ لَا يَنْدَمِلُ.
أَسْتَرْجِعُ ذَاكِرَةَ الْعِشْقِ سَهْواً ،
أُسَافِرُ فِي عَيْنَيْكِ الْغَائِمَتَيْنِ
يَطُولُ انْتِظَارُ الْغَيْثِ.
أَرْكَبُ زَوْرَقَ الْحَيْرَةِ ،
يَأْسِرُنِي سُؤَالُ الْخَرَائِطِ.
مَنْ قَالَ إِنَّكَ نَافِذَةُ الْغَرْبِ؟
هَذِهِ الصَّيْحَةُ الثَّكْلَى
مِرْآةٌ لِلْبَيْدَاءِ التَّوَّاقَةِ لِلْبَحْرِ ،
الَّذِي مِنْهُ الْيَنْسَلُّ عَجِينُ الْعَارِ.
آهٍ لَوْ نَطَقَتْ أَحْجَارُ الْجِبَالِ ،
حَنَاجِرُ أَنْهَارٍ؛
أَحْوَاضُ أَزْهَارٍ
لَأَخْرَجَ كَبِدُ النُّونِ
مِنْ لِسَانِ الْبَابِ الْأَزْرَقِ
صَوْلَةَ طَارِقٍ.
فِي بَحْرِ الْأَنْدَلُسِ الْيُخَبِّئُ ظِلِّي سِرَّ التَّارِيخِ ،
أَعْشَقُ أُنْشُودَةَ «رَالَّا بُويَا» Ralla Boya
فِي دَلِيلِ الْأَمَازِيغِ ،
أَرْقُصُ فِي ثَلْجٍ يَكْسُوهُ
الْهَزِيعُ ،
أَرْفُضُ بَائِعَ الْوَرْدِ ،
إِذَا لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى صَبْرِي ،
الَّذِي فَاقَ نَبِيًّا ،وَمَا نَوَى.
لَسْتُ إِنْسَاناً غَبِيّاً ،
أَرَى شَبَحِي غَافِلاً
فِي مِرْآةِ السَّاسَةِ
عَنْ شُعُوبِ الْبَحْرِ.
يَا مَنْ تَحْرُسُ مَشْيَتِي
الْبَابُ الْأَزْرَقُ يَخْنُقُ أَنْفَاسِي ،
أَحْمِلُ فِي بَاطِنِ ذَاتِي شَوْكَ الْحَقِيقَةِ ،
فَأَنَا أَمْتَهِنُ أَدِيمَ الْأَرْضِ ،
بَيْنَ الرَّفْضِ
وَبَيْنَ الْعِصْيَانْ.
قُلْتُ لَكُمْ :
إِنِّي أَشْرَبُ حُزْنِي
فِي زَنْزَانَتِي ،
يَرْتَوِي مِنْهُ وَطَنِي
فِي كُلِّ الْبِقَاعْ؛
إِنَّهُ شَوْكَةٌ فِي عُنُقِ النِّسْيَانْ.
الشَّمْسُ تَعَرَّتْ بَاكِراً ،
وَأَنَا لَدَيَّ عَيْنَانِ
لِلشِّتَاءِ فَقَطْ
تَكْفِيَانِ ،
وَقَلْبٌ يَبْكِي الْأَنْدَلُسَ
عَنْ غِيَابِ ابْتِسَامَةِ وَرْدِ الْقَدِيمَةِ.
إِنِّي أُتَابِعُ مَشْهَدَ مَأْسَاةِ الْغَرْقَى
مِثْلَ أَعْمَى يَرَى مَشْيَ الظِّلِّ
بَيْنَ السُّحُبِ
وبين الكُتُبِ
قَدْ تَحَوَّلَ حُلْماً حَرُونْ.
أُخْتُ دُنْيَايَ تَشْكُو إِلَى حَارِسِ الْأُمَمِ :
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُثَثِ الْعَائِمَةْ ،
يَا هَذَا الْغُرَابُ التَّائِهُ
فِي سَمَاءِ النَّعِيقِ ؟!
قَدْ فَارَ التَّنُّورُ
حَتَّى خَشِيَ الثَّوْرُ مِنَ اللُّعْنَةْ.
كَفَى ،ثُمَّ كَفَى
فَصَدْرُ التَّارِيخِ قَدْ ضَاقَ
مِنْ صَوْتِكَ الرَّتِيبِ.
اَلْبَابُ الْأَزْرَقُ يَخْنُقُ أَنْفَاسِي
أُعْلِنُ مِنْ جَدِيدٍ تَمَرُّدِي.

أحمد شرّاك

لم يكن واردا أن أسافر إلى أنطاليا ، بدعوى أني سافرت إلى تركيا ، وتحديدا العاصمة الزاهية إسطنبول(1) ، حيث من عادتي أن أنوع بين البلدان والدول ، حتى أقتنص نظرات ومنظورات في سياقات مختلفة من أجل الإثراء في صحبة الأمكنة ، سواء في هذه القارة أو تلك... إلا أن أنطاليا أغرتني بتلك الحكايات التي سمعت عنها ، وما زادني اقتناعاً ، هو الخط المباشر بين الرباط وأنطاليا ، أضف إلى ذلك أن هذه السنة خصوصا كنت متعبا ، غير قادر على تحمل المطارات والطائرات ، فضلا عن ذلك كنت أود أن أستريح ، بعيدا عن الضجيج وقريبا من الهدوء..

انطلقت الطائرة من الرباط(*) لتصل بعد 5 ساعات من الطيران إلى أنطاليا المطار ، وبعد ذلك امتطينا سيارة كانت في الانتظار إلى نادي شاطئ القراصنة (Pirates beach club) الذي يبعد عن أنطاليا المدينة بحوالي 80 كيلومتر ، قطعناها في ساعتين أو قليلا لنصل في منتصف الليل إلى النادي بالتوقيت التركي(**). وبما أنهم على علم بمجيئنا متأخرين فقد تركوا لنا ما نلبي به رغبات المعدة ، التي كانت خاوية ، خاصة وأن الطائرة لم تقدم وجبة ، وإذا أردت مشروبا فما عليك إلا أن تدفع ، لعلها طائرة اقتصادية من الدرجة القصوى ، وهي معذورة في ذلك ، لأن مكتب الوكالة السياحية هو الذي اختار هكذا طائرة ، وهو الذي دفع...

أنطاليا

الشمس والبحر والجبال والزهور

1 - نادي القراصنة

لقد كان النادي في الليل هادئا إلى حدود قصوى حيث تعرفنا على رقم الغرفة (310) وهي غرفة أرضية في هذا المبيت من 5 نجوم.

في الصباح الموالي، ونحن نقصد المطعم الفسيح الذي تتغذى فيه العين قبل البطن، وجدنا كل الخيرات معروضة، فاللحم بكل ألوانه سواء المقلي أو المبخر أو المشوي، وكذلك الحوت فضلا عن تنوع السلطات وتعدد المداخل، وكل الفواكه الموسمية كالبطيخ والتفاح... فقد تحتار في الاختيار خاصة وأنك تغمزك بعض المأكولات الممنوعة عنك صحيا، فهل أقوم بالانزياح ؟ هكذا تخاطبك رغبتك وشهوتك، ولولا استعمالك لصفحة (Fichier) داخلية أخرى مضادة، لانزلقت نحو الانزياح..

والرياح، لعله صراع داخلي قوي، لقد انتصرنا عليه بالمقاومة والصمود كما كنا نردد يوما في القطاع الطلابي. أما المشروبات فلك ما تريد سواء المباح أو غير المباح، ويمكن لك أن تشرب ما تشتهي في أي لحظة من اليوم والليل أيضا مجانا مجانا..

أما الخضرة، فهي تكسو المكان بكل الزهور والورود وبكل الألوان.. كما أن النادي غاص بتماثيل القراصنة نساءً ورجالا، إن الاسم يعكس المحتوى حقا، لك أن تأخذ صورا للذكرى..

أما الماء سواء ماء البحر أو ماء المسبح (المسابح)، فهو على مرمى حجر، قد تختار وقد تزاوج بين الماء المالح والماء الحلو.. هكذا تجد نفسك على شاطئ جميل لا يبعد كثيرا عن المسبح (المسابح).

وأما التنشيط الرياضي والفني فهو متاح في النهار والليل، وفي النهار تجد مؤطرين للكبار وللصغار، وأنت وسط المسبح حيث يقف المنشط ليوجهك إلى ممارسة حركات رياضية لتقوي عضلاتك وتستعد للعوم، وكما أن التنشيط الفني ليلا فهو في سهرات طِوال تستمتع فيها بالرقص والغناء..

والأهم هو تلك الإستراتيجية السياحية التي يقوم عليها النادي وهي الاهتمام الكبير بالطفولة سواء على صعيد السباحة أو الرياضة أو الرقص والغناء، حيث لا تجد هذه الطفولة فراغا للشغب الطفولي، فهناك تأطير جيد يضع نصب عينيه راحة الطفولة وتنشئتها، بشكل يضمن سعادة الطفل وصحته وحاضره وكذا مستقبله، كما أن الزبناء الكبار يجدون في ذلك ضالتهم لأن طفلهم أو طفلتهم بين أياد آمنة وواعدة ..

لربما هذه الاستراتيجية روسية التربية والتنشئة، ذلك أن المستثمر روسي الجنسية كما أن الوافدين في أغلبيتهم من روسيا أو من أوكرانيا أو أوربا الشرقية، أما العرب فهم قليلون ورغم ذلك فالمغاربة حاضرون بل إن أحد المؤطرين للأطفال مغربي(2)

2 - أنطاليا المدينة

لقد كان من استراتيجية البرنامج الذي وضعته الوكالة هو زيارة أنطاليا المدينة التي تبعد عن هذا النادي بحوالي 80 كيلومتر، ولقد كان من الضروري أن تخترق الطريق المزدوجة إليها مجموعة من الجبال، مما جعل الأنفاق تمتد أحيانا إلى أربعة كلم، وهي أنفاق مجهزة بما يليق ويستلزم، مما يدل على فاعلية الإنسان في اختراق الطبيعة، وجعلها في متناول يديه. إن هذه المسافة لا تخلو من خضرة وأزهار وورود على جانبي الطريق، وفي عز الصيف حيث كانت الشمس ساطعة وحارقة..

إلا أن هذه الرحلة ابتدأت كما أراد السائق

بدون استشارتنا، ابتدأت من زيارة مجمع للذهب، وإن اعتذرنا على زيارته إلا أن السائق ألح ومارس خطاب التحبيب والإغراء ؛ وبالفعل بدأنا هذه الزيارة بهذا المجمع الذي استقبلنا فيه استقبالا رائقا وفائقا، من طرف مدير المجمع الذهبي، وبعد ذلك تركنا بين أيادي نسوية تحسن لغة مواليير مما سهل التواصل والتفاهم، حيث عرضت علينا مجموعة من المنتوجات وهي تردد بأن هناك منتوجات مهداة ليست قابلة للدفع، ورغم إلحاحنا على الأثمنة كانت تتهرب من ذكرها.. وبعدما اخترنا خاتما ذهبيا صغيرا، أعطت الإشارة للمدير لكي يحضر من جديد فهو المسؤول عن البيع.. وعندما ألححت شخصيا على ثمن الخاتم الصغير كتب على ورقة هذا الرقم: 16 ألف درهم مغربي، فما كان علينا إلا الاعتذار والانسحاب.

حتى لو حاول أن يخبرنا بأن المجمع له فرع في المغرب، ويمكن تسديد المبلغ فيه، إذا لم يكن المال حاضرا ؛ إلا أن المشكلة تكمن في الثمن الاستثنائي فهل اعتقد بأننا من أهل المال، حتى نقتني بهذا الرقم الخيالي ؟؟ لقد ودعناه بدون تردد وخرجنا نحو ملاذات أخرى، وعلى رأسها المدينة القديمة في أنطاليا وهي مدينة تتشابه في المآثر والبناء والهندسة والبنايات خاصة المساجد.. ومكتظة بالأسواق لمعروضات في متناول السائح القادم من غرب شمال إفريقيا، حيث اقتنينا تذكارات تؤرخ للزيارة وإن كان بؤبؤ العين معروضا بكثرة، ولعله سمة من سمات الثقافة التركية وأحد المحددات المادية لها في المخيال الشعبي.

إن موقع هذه المدينة على حافة البحر أيضا حيث المقاهي منتشرة، والتي ذكرتني في لحظة من اللحظات بمدينة الصويرة المغربية..

لم نزر المدينة القديمة، بل المدينة الجديدة بمولاتها ومعروضاتها اللافتة إلا أننا لم نقتني أي شيء، لأن العولمة قد تلغي الخصوصيات المحلية أو أن المحلية ما هي إلا شكل بدون محتوى خاصة في المولات الكبرى حيث العلامات المعروضة واحدة سواء في أنطاليا أو فاس أو الدار البيضاء...

إن الناظر إلى المجالات الخارجية عادة ما يعقد مقارنات داخلية بين هذه المجالات وأمكنة بلده، حيث يمكن القول بأن الاختلافات واردة في التفاصيل لكنها تختفي في الخطوط العريضة، فلا شك أن النادي لا يختلف كثيرا عن منتجعات السعيدية بشرق المغرب أو تغازوت بجنوبه، كما أن أنطاليا في تقسيمها المجالي ما بين المدينة العتيقة والمدينة الحديثة فهذا التقسيم موجود في المغرب أيضا في فاس ووجدة ومراكش وغيرهم، وأن المآثر خاصة في الدول الإسلامية نجد في مقدمتها الجوامع والمساجد، ولعلها السمة التي تميز ما بين المدينة القديمة والمدينة الجديدة حتى في أوربا كما شاهدت في مدينة ليون الفرنسية مثلا.

ها أنت تعود مرتاحا وقد غاب التعب لتستأنف المسير، عدت وأنت منشرح لهذه السفرية غير المبرمجة إلا في بداية شهر غشت لتنطلق وتعود يوم 26 غشت بعد أسبوع من تخمة الراحة والرغبات التي لا تنتهي..

فاس في فاتح شتنبر 2026

-1 أحمد شراك: عبور إلى جغرافيات الأنا والآخر، منشورات مقاربات 2023، انظر مادة: «اسطنبول: فتنة البين والعين»، ص. 86-100.

* - يوم الأربعاء 19 غشت 2026 على الساعة الثانية بعد الزوال.

** - هناك فارق ساعتين بين التوقيت التركي والتوقيت المغربي.

2 - شاب في الثلاثينيات من عمره يسمى وليد الحسيني، والذي رفعنا عنه شيئا من الغربة والإحساس بتمغربيت.

الإسم الجغرافي الأنثوي

اكتشاف للتاريخ الثقافي والحضاري للمرأة المغربية

دة.أمينة القرقري

الجزء الأول

يعد كتاب مليكة العاصمي «الجغرافية ذاكرة المرأة والثقافة والمجتمع «مساهمة رائدة في دراسة أبعاد تموقع المرأة المغربية من زاوية الجغرافية الثقافية ، ومسائلة فكرية عن حضورها الجغرافي لإثبات أن إسمها ليس ظلا عابرا في التاريخ ، بل هو ضوء يتسرب من الذاكرة الجماعية ، تتحدث الدروب بأسمائها ، وتشهد الأضرحة على أدوارها خدمة لنهضة المدن وازدهارها ، وقد شاركت المؤلفة في ندوة نظمها المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس بالرباط ، حول موضوع الأعلام الجغرافية بالمغرب ، تحت شعار «الاسم الجغرافي مصدر لاكتشاف التاريخ الثقافي والحضاري» ، وقد قادها موضوع تحقيق أسماء معالم مراكش الى» موضوع الساعة ضمن الايديولوجية العالمية المعاصرة ، تلك هي موضوعة المرأة ووضعها في الثقافة والحضارة المغربية» 1. تسعى المؤلفة بكتابها إلى البحث في موضوع الأسماء الجغرافية ، وهو من الموضوعات التي لم تحظ بالقدر الكافي من الدراسة والاهتمام من طرف الباحثين والمتخصصين ، وتروم الدراسة من خلال الأسماء الجغرافية الى استكشاف مكانة المرأة في الذاكرة الشعبية ، والثقافة ، والمجتمع ، وإبراز التناقض بين حضورها الرمزي والغياب الرسمي في التاريخ الوطني ،وقد اختارت الكاتبة مدينة مراكش مجالا للبحث - مسقط رأسها ونشأتها- كنموذج واضح للحضور والغياب ، من خلال طرح أسئلة: «كيف تكون الجغرافية للرجل ولاتكون للمرأة؟ ، كيف يكون التاريخ منصفا للرجل ومقصيا للمرأة؟ ، «هل كان للمرأة نصيب ومكانة وعرفان في الإسم الجغرافي؟ ،أم أنها سلبت حقوقها الجغرافية كمؤشر على باقي الحقوق الأخرى؟»2.

يأتي الكتاب في سياق حركة الفكر النسوي المغربي منذ الثمانينات ، وقد تفاعلت الحركة مع الخطاب العالمي لحقوق الإنسان ومبادئ النوع الاجتماعي ،مما ساهم في تطوير ممارساتها وخطاباتها بشكل كبير ، ومن بين الشخصيات البارزة في الحركة النسوية المغربية في الثمانينيات تبرز نزهة الصقلي وأمينة المريني الوهابي ، وربيعة الناصيري ، كمؤسسات للجمعية الديمقراطية لنساء المغرب عام 1985 ، وهي أول جمعية نسائية مستقلة تجاوزت الإطار السياسي الضيق لحزب التقدم والاشتراكية ،بهدف توسيع الحركة لتشمل نساء مستقلات والتفكير في قضايا المرأة الاجتماعية والقانونية والاقتصادية ، وقد واكب ظهور هذه الحركات نشاطا سياسيا واجتماعيا في المغرب والعالم ، مما خلق بيئة لبروز قضايا المرأة وتوسيع دائرة النقاش حولها ، حيث اتخذت دراسات قضايا المرأة المغربية منحى جيدا في الربط بين الهوية الثقافية والواقع الاجتماعي ، وتعيد طرح الأسئلة حول دور النساء في المجتمع؛ وما تمثله في الذاكرة الجماعية من خلال وجودهن الفعلي ،وتموقعهما في جغرافية الوطن واستحضار التاريخ لأسمائهن كرموز وطنية في مختلف المجالات . يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة في كتاب مليكة العاصمي الجغرافية ذاكرة المرأة والثقافة والمجتمع ، لاستجلاء حضور المرأة في الجغرافية المغربية من خلال الذاكرة الشعبية ، وهو استجلاء يميط اللثام عن الإقصاء المنهج لدور المرأة في صناعة التاريخ وإعادة إنتاج صورة أحادية للتاريخ الوطني ، ومحاولة التنبيه لاستجماع الهمم من أجل كتابة التاريخ وإثبات الأدوار الفعالة التي تلعبها النساء في خدمة المجتمع نحو رد اعتبار جماعي للأفراد نساء ورجالا.

1 - كتابة التاريخ وإقصاء المرأة

أ- المرأة في الموروث الميتولوجي: تبرز المرأة في الموروث الميتولوجي كعنصر أساسي في تشكيل الجغرافية الطبيعية، سواء عبر الحضور الرمزي: الآلهة عشتار، الأرض الأم، العيون والبحيرات المرتبطة بأسماء أنثوية، وهو ما يربط المرأة بالطبيعة، ويجعلها رمزا للخصوبة والحياة، فالتجمع الإنساني الأول لم يؤسس بقيادة الرجل المحارب الصياد، بل تمحور حول الأم التي جمعت بعاطفتها أبناءها «في أول وحدة إنسانية متكاثفة هي العائلة الأمومية خلية المجتمع الأمومي الأكبر»3، فقد عرفت المرأة من خلال جسدها هبة الطبيعة، وبالولادة كانت تزدوج المرأة جسدا ونفسا، أما الرجل فيعمل على دعم وضعه الإجتماعي ويحافظ على ممتلكه، ففي المجتمع الأمومي أسلم الرجل القيادة للمرأة لعجائب جسدها الذي بدا له مرتبطا بالقدرة الإلهية، وأقدر بالتوسط بين عالم البشر وعالم الالهة، بهذه الأسلحة الناعمة تبوأت المرأة عرش الجماعة دينيا وسياسيا واجتماعيا.

ب- المرأة في التاريخ المغربي(جغرافية مدينة مراكش): يرى بول ريكور أن التاريخ هو سرد، ولكن ليس أي سرد؛ فهو سرد خاص يهدف إلى إعطاء معنى للماضي، ويعتمد على التأويل لتوضيح العلاقة بين الأحداث الماضية وفهمها في سياق الحاضر، ويؤكد بول ريكور على «أن التاريخ ينشأ من تجربة إنسانية تتجسد في السرد الذي يسمح لنا بفهم علاقتنا بالماضي واستشراف المستقبل»4، من هذا المنطلق انكبت الكاتبة على البحث بالمراجع التاريخية للاستفسار عن حضور المرأة في الجغرافية المغربية، واستفسار غيابها في السياق التاريخي الحاضر، ففي الباب الأول المعنون «المرأة في الجغرافية/ مراكش نموذجا» قدمت دراسة مكتبية لإحصاء الأعلام النسائية بجغرافية مدينة مراكش في كتب التاريخ القديم، و بعد البحث بعدة كتب لمؤرخين مغاربة توقفت المؤلفة عند شيخين وجدت أنهما «تخصصا في موضوع تاريخ جغرافية مراكش، كمدينة نموذج للثقافة والمجتمع المغربي في تعامله مع المرأة وتقديره لجهودها، واستحضارها في الحياة والتاريخ والجغرافية وعدم محوها أو محو مساهماتها وحضورها»،5 وقد وثقا الشيخين عشرة من نساء مراكش صاحبات أضرحة الصالحات، وقد ذكرت المؤلفة مؤرخون مروا بتاريخ مراكش ولم يذكروا من النساء الا واحدة في كتبهم، وقد انتبهت الى أن هؤلاء المؤرخين «اقتصروا على النساء الفقيهات والمتصوفات ولم ينتبهوا لباقي النساء المتخصصات في مختلف العلوم والفنون»6، إذ على المرأة أن تكون فقيهة ومتصوفة وصاحبة كرامات كي تدخل التاريخ المغربي، أما الكاتبات والشاعرات والمؤلفات يتجنب المؤرخ ذكرهم حتى لا تتلبس به شبهة الخوض في مجال النساء، و يفسر بيير بورديو الإقصاء الاجتماعي للأنثى كونها «في المخيال النمطي الاجتماعي كائن سلبي، لأن النساء يعهد إليهن بكل الأعمال الخاصة والمختبئة، لا بل اللامرئية أو المخجلة، كرعاية الأطفال والحيوانات، وكذلك كل الأعمال الخارجية التي أعطاها لهن العقل الأسطوري»7، هذه التمثلات تقطع كل اتصال للرجل المؤرخ بالمرأة، فكل ما يخص النساء هو في منأى عن اهتمام الرجال وانشغالهم، «لكن التاريخ لم يهتم كثيرا بالبحث في النساء حتى لو كان يعرف نشاطهن، بل يكتفي بنموذج أو نماذج قليلة يسوقها فقط للتمثيل، إذ اهتمام التاريخ أساسا ذكوري صرف»8، فقد أهملت إنجازات المرأة ومساهماتها منذ بدء التاريخ وبشكل ممنهج، فقد كانت معظم القصص التاريخية على يد الرجال وعنهم، وهذا الموضوع يحتاج لفهم التاريخ لنتحدث عن جذور اضطهاد المرأة وتسجيل انجازات نصف المجتمع، وإقصاء النصف الاخر من النساء.

ج- التأريخ لإنجازات المرأة: دلالات ثقافية : إن فكرة مناقشة

قراءة في كتاب « الجغرافية.. ذاكرة المرأة والثقافة والمجتمع» لمليكة العاصمي

الحضور الأنثوي في التاريخ الوطني، هو محاولة لتحليل محتويات التفكير الاجتماعي من معارف وأفكار ومعتقدات وتمثلات تحملها عقليات ذكورية وأنثوية تنتمي للثقافة المغربية، والتي تلعب دورا في التأثير في أذهان الأفراد وتوجيه ممارساتهم وسلوكياتهم، لذلك فإن تحليل صورة المرأة في مجتمعنا لا يعري وضع الأنثى فقط؛ ولكن يميط اللثام عن تمثلات مجتمعية مسؤولة عن هذه الصورة النمطية للأنثى .

ارتبط تاريخ معمار مراكش - الخاص بالنساء- بسرد القصص والحكايات، ومنه نسرد مثال أوردته الكاتبة وهو مسجد باب دكالة الكبير الذي بنته السيدة مسعودة الوزكيتية المعروفة اختصارا بلقب للا عودة السعدية أم السلطان المنصور السعدي المسمى المنصور الذهبي، ولمسجد باب دكالة حكاية تزعم «أنها بنت المسجد المذكور كفّارة لما انتهكته من حرمة رمضان، وذلك أنها دخلت بستانا من بساتين قصورها وهي في حال الوحم، فرأت به خوخا ورمانا فتناولتهما وأكلت منهما في نهار رمضان، ثم ندمت على ما صدر منها وفعلت أفعالا كثيرة من باب البر رجاء أن يتجاوز الله عنها، ومنها الجامع المذكور، وما زال النساء والصبيان، يسجعون بقضيتها إلى الآن فيقولون: عودة أكلت رمضان بالخوخ والرمان»9.

لجأ المتخيل الشعبي الى نسج قصة حول بناء المسجد بغية تأصيلها في ذاكرة الجماعة، هذه الرواية الموثقة لها مرجعية ثقافية تحمل لنا قصصا وحكايات عن جسد المرأة وسقوطه في المحرمات، وهي حبكة قصصية تحدث الاستلاب الذهني مستعينة بالموروث الشعبي المتمثل بحكايات الرجال في مجالسهم الخاصة، حيث تتواتر الحكايات والقصص عن النساء وطبائعهن وصفاتهن والغاز الجسد المؤنث، ومالهذا الجسد من فنتازية خاصة تخص مرحلة الحمل وما يشوبها من تغييب للعقل وانتهاك حرمة شهر رمضان، فالمؤرخ لم يذكر الجانب القيادي والإنجازي لدى شخصية للا مسعودة، بل أقام رابطا بين مشروع البناء والذنب الملحق بالمرأة المؤسسة، فكل امرأة متميزة وفاعلة بمجتمعها يتم التأريخ لمردوديتها وفعلها بالتركيز على الجانب الأنثوي من جسدها، تؤكد المؤرخة ويبيتاني أن» هناك الكثير من النساء اللواتي نفكر بهن مثل شجرة الدر والنفزاوية صورن بأنهن يمتلكن طابعا جنسيا وأنهن مثيرات ليراهن التاريخ كمخلوقات تجذب نحو المتعة»10 ، فقصة بنائه تنطوي على رمزية مهينة للمرأة، تأسس على مخزون ذهني يحتقر المرأة ويستهين بالجسد المؤنث، إذ يوثق مرجعية سلبية تلتصق بإسم مؤسسته، من هنا جغرافية المكان (المسجد) تتحدد من خلال جغرافية الجسد الأنثوي وهي من جهة تقدم صورة الجسد الأنثوي الخاوي من العقل، و من جهة أخرى يثبت شيطانية الجسد المؤنث، «يمثل الجسد المذكر اللغة والتاريخ، أما الجسد الأنثوي فهو قيمة ذهنية معلقة في فضاء اللغة وفضاء التاريخ» 11 ، «وهي نماذج لم تتولد عن المرأة ذاتها أو عن ثقافتها ولا حتى عن أفعالها، ولكنها نماذج مصنوعة أو مصطنعة من الرجل صانع التاريخ ومالك اللغة»12، وهذه القصة هي من بين القصص التي تؤسس ثقافة الرجل عن الجسد الأنثوي وهي ثقافة متأصلة ومتجذرة في الوجدان والعقل الذكوري، ، يقول بودلير في إحدى قصائده « ياأيتها المراة ، ياملكية الخطايا، أيتها العظمة الدنيئة، أيها الخزي الرفيع»13.

يتخذ المؤرخ هذه التمثلات مرجعا لكتابة التاريخ الخاص بالنساء، وتسويق صورة تاريخية عن المرأة يتوارثها فيما بين الأجيال، التي تظل تعيد إنتاج النمطية وتغلق المجال على التفكيك النقدي أو موازنات واقعية أو قياسات علمية، فدائما ما يوافق القارئ على هذا السرد التاريخي الذي أوقعه في «حالة العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي»14.

في الفصل الثاني المرأة كعلم جغرافي تتحدث الكاتبة عن الحضور الحي للمرأة في «مراحل التاريخ المضيئة أو المضطربة أو الفاسدة أو خلال الحروب والصراعات»15، وتذكر شخصية نسائية وهي شخصية مقاومة عرفت بمواقفها البطولية في التصدي للمستعمر، والمرأة كعضو مشارك للرجل داخل المجتمع ساهمت بدورها في المقاومة الوطنية غير أنها لم تحظى بسيرة تاريخية تليق بكفاحها، بل تم نعتها بنعوت جارحة وسلبية، تكتب مليكة العاصمي في هذا المضمار قائلة «ويضطرب الزمن فتصير المرأة حمقاء عيشة الحمقا أو عيشة قنديشة، ودرب عيشة قماشة ومجذوبة وماشابههما»16، وهذه الصورة هي صورة نوعية ونموذجية للأنوثة عايناها بمؤلف قصصي لعبد المجيد بن جلون وهو يؤرخ لشخصية عائشة المقاومة، وقد وسمها التاريخ بشخصية عيشة قنديشة تظهر للساكنة كمجنونة أو جنية، وهذه التمثلات الخاطئة والمتجنية عن المرأة تعكس المفاهيم والتمثلات الاجتماعية، وتؤكد الكاتبة أن إنجازات المرأة ومساهماتها أهملت بشكل ممنهج في التوثيق التاريخ لجغرافية المدن، وتحدثت عن الإقصاء الذي طال أسماء نساء عرفن بمساهماتهن في جميع المجالات ابتداء من السياسة وصولا الى الفقه والطب والأدب، وبحسب الكاتبة تشكل الأسماء الجغرافية النسائية الموثقة تاريخيا نسبة جد ضعيفة. ،وتوضح مليكة العاصمي أن التأريخ لنساء صالحات وليات أغفل أسماء نسائية استطاعت ترك بصمتها في الذاكرة الشعبية لساكنة مراكش في مختلف المحطات التاريخية التي مر منها المغرب.

د- هيمنة الرموز الذكورية في التسمية الجغرافية الحديثة: تسعى التسمية الى التملك أو الحيازة الرمزية، فلم يكن اختيار الأسماء الذكورية للأماكن الجغرافية فعلا فجائيا أو اعتباطيا، بل فعل يستمد أصله من فعل تاريخي ثقافي، وقد أعطى بورديو في تفسير الهيمنة الذكورية دفعة جديدة للوظيفية في تحليل العلاقات بين النوع الجنسي، «فسيطرة الرجال وخضوع النساء عبارة عن سيرورة تاريخية وليس نظاما لإعادة إنتاج الذات»17، وتستند نظريات النوع الإجتماعي على الوظيفية وهي الأدوار العملية، بمعنى النظر الى العلاقات الجندرية بوصفها نظاما قائما بذاته ومنتجا لذاته، وتفسير كل عنصر من حيث وظيفته في إعادة إنتاج الكل، غير أن هذه السيطرة الذكورية عرضة للتحدي وتتطلب جهدا كبيرا للحفاظ عليها، فالحفاظ على نسق معين من الهيمنة يتطلب القوامة المادية أي حراسة الرجال لفضاءاتهم ومهامهم من خلال الحفاظ على الهيمنة الرمزية، وإقصاء النساء خارج السلطة والمعرفة، ومن خلال هذا النسق الاجتماعي التاريخي ركزت الكتابات التاريخية الرسمية للأماكن التاريخية غالبًا على الرجال: ملوك، قادة، علماء، فالرجال هم من صنعوا القصص الكبيرة، وبنوا امبراطوريات عبر الحروب الطاحنة، والرجال هم بناة التاريخ العلمي عبر الاكتشافات والإنجازات العلمية، وقد ركز التاريخ المكتوب والرسمي في المغرب -كما في كثير من المجتمعات- على أسماء السلاطين والملوك والقادة العسكريين والعلماء الذكور، لذلك نجد أغلب الشوارع والساحات والمدارس والمعالم تحمل أسماء رجال(محمد الخامس، الحسن الثاني، يوسف بن تاشفين، ابن بطوطة) إضافة الى أسماء الشخصيات المشاهير من رجال الغرب (جان جوريس، باستور..) ، بينما ظلت الأسماء النسائية شبه غائبة، وهو ما يعكس إقصاء ممنهجا لدور المرأة في صناعة التاريخ وإعادة إنتاج صورة أحادية للتاريخ الوطني.

إن هذا التوثيق اللامنطقي يدافع عن مسيرة تاريخية ذكورية متحيزة ضد النساء، فلطالما كانت النساء خارج التاريخ، وأن ذكرهن ليس إلا كنساء جميلات ومغريات، وهذا التغييب للنساء يخلق فجوة بين الواقع التاريخي للمرأة وأثرها الحقيقي في المجتمع وبين ما تم توثيقه.

الهوامش:

1 -مليكة العاصمي، الجغرافية ذاكرة المرأة والثقافة والمجتمع، دار الثقافة الدار البيضاء الطبعة الثانية، 2024، ص11-12

2- مليكة العاصمي، الجغرافية ذاكرة المرأة والثقافة والمجتمع، دار الثقافة الدار البيضاء الطبعة الثانية، 2024، ص. 52

3- السواح فراس، لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والاسطورة، ط8، دمشق: علاء الدين، 2002 ، ص.32.

4 -بول ريكور، التاريخ الذاكرة والنسيان ، ترجمة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، الطبعة الاولى ، 2009، لبنان، ص. 365

5- بول ريكور، التاريخ الذاكرة والنسيان، م.سا ، ص. 68

6- المصدر نفسه، ص. 73

7-بيير بورديو، الهيمنة الذكورية، م.سا، ص. 73

8 -المرجع نفسه، ص. 74

9- مليكة العاصمي، الجغرافية ذاكرة المرأة والتاريخ والمجتمع، ص. 65-66

10- 2024 -No2ta The Feminist Lab مناهل السهوي، عن اقصاء المرأة عبر العصور كيف خرجت النساء من التاريخ؟،

11 -عبد الله الغذامي، اللغة والمرأة ثقافة الوهم، ص. 38

12- المرجع نفسه، ص.39

13 -شارل بودلير أزهار الشر، ترجمة خليل خوري، وزارة الثقافة والاعلام بغداد، 1989

14- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب الطبعة السابعة 2021، ص.8

15مليكة العاصمي، الجغرافية ذاكرة المرأة والثقافة والمجتمع، دار الثقافة الدار البيضاء الطبعة الثانية، 2024، ص. 51

16-المصدر نفسه والصفحة.

17 -بيير بورديو، الهيمنة الذكورية، م.سا، ص.61

المدرسة المغربية أمام تحدي الذكاء الاصطناعي

قراءة تحليلية في توصية المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي

زكرياء البدراوي

تندرج توصية المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، الموسومة بـ «من أجل اعتماد إطار وطني لتوجيه استعمال الذكاء الاصطناعي في التربية والتكوين والبحث العلمي»، ضمن لحظة دقيقة من مسار المدرسة المغربية، حيث لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد أفق تقني مستقبلي، ولا أداة رقمية إضافية يمكن إدراجها ضمن الوسائل الديداكتيكية بالمعنى الضيق، بل أضحى تحولا بنيويا يمس علاقة الإنسان بالمعرفة، وعلاقة المتعلم بالجهد الذهني، وعلاقة المدرسة بوظيفتها التربوية والمجتمعية. وقد صدرت هذه التوصية، الحاملة لرقم 1/2026، في أبريل 2026، وصادقت عليها الجمعية العامة للمجلس في دورتها الثانية عشرة المنعقدة يوم الثلاثاء 14 أبريل 2026، بما يمنحها قيمة مؤسساتية خاصة داخل النقاش الوطني حول مستقبل التربية والتكوين والبحث العلمي في سياق التحول الرقمي المتسارع.

لا تنطلق الوثيقة من تصور تقني اختزالي، ولا من موقف انبهاري يرى في الذكاء الاصطناعي حلا تلقائيا لمعضلات المدرسة، كما لا تصدر عن نزعة تحفظية تنظر إليه باعتباره خطرا مطلقا ينبغي إقصاؤه أو منعه. إنها تبني، في العمق، موقفا تربويا متوازنا قوامه الوعي بأن ثورة الذكاء الاصطناعي تمضي أبعد من الثورات الصناعية السابقة، لأنها لا تغير فقط أدوات الإنتاج والتواصل، بل تقترب من المجال الذي ظل طويلا عنوانا للتفرد الإنساني، أي مجال العقل والوجدان والقدرة على الفهم والتأويل واتخاذ القرار.

ومن ثم، فإن السؤال الذي تطرحه التوصية لا ينحصر في كيفية استعمال الذكاء الاصطناعي داخل الفصل الدراسي، بل يتجاوز ذلك إلى سؤال أعمق: كيف يمكن توجيه هذا التحول، برهاناته الفلسفية والأخلاقية والبيداغوجية، حتى يخدم مشروعا تربويا وطنيا منصفا، يضمن فعلية الحق في تعليم ذي جودة، ويصون المصلحة الفضلى للطفل، ويعزز الاستقلالية الفكرية للمتعلم، ويحافظ على الدور الإنساني للمدرسة؟

تستمد الوثيقة قوتها من كونها لا تعالج الذكاء الاصطناعي كموضوع معزول، بل تضعه داخل منظومة مرجعية وطنية ودولية متكاملة. فهي تستحضر المرجعية الدستورية بما تكرسه من حق في تعليم ذي جودة للجميع، ومن التزام بالحماية وتكافؤ الفرص والإنصاف التربوي، كما تستند إلى الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030 وإلى القانون الإطار 51.17، خاصة في ما يتصل بتطوير الكفايات العرضانية، وتنمية القدرات النقدية، وترسيخ الاستقلالية الفكرية، وجعل المدرسة فضاء للتنشئة على المواطنة والقيم. وبهذا المعنى، لا تنظر التوصية إلى التكنولوجيات الحديثة باعتبارها غاية في ذاتها، بل باعتبارها وسائل ينبغي أن تظل خاضعة للغايات التربوية الكبرى، وفي مقدمتها بناء متعلم قادر على الفهم، والتحليل، والتمييز، والمسؤولية، والمشاركة الواعية في مجتمع المعرفة.

وتتسع هذه المرجعية لتشمل التزامات المغرب في قمة تحول التربية لسنة 2022، بما أكدته من مركزية المتعلم والبعد الإنساني للتحول التكنولوجي ومخاطر تعميق اللامساواة الناتجة عن تحول رقمي غير مؤطر. كما تستحضر الوثيقة ملاحظات لجنة حقوق الطفل، ولا سيما الملاحظة العامة رقم 25 لسنة 2021، التي جعلت حماية الأطفال في البيئة الرقمية واجبا على الدول، ونبهت إلى ضرورة ألا تتحول التقنيات الرقمية والذكاء الاصطناعي إلى مصدر لهشاشة جديدة أو تمييز غير مرئي أو استغلال مقنع. ويكتمل هذا الأفق باستحضار تقرير المقررة الخاصة للأمم المتحدة المعنية بالحق في التربية حول الذكاء الاصطناعي، وإرشادات اليونسكو حول الذكاء الاصطناعي التوليدي في التعليم، بما تضمنته من تأكيد على الأخلاقيات، وحماية المعطيات الشخصية، وضمان الإنصاف، وعدم تعويض الدور التربوي للمدرس، وتعزيز التفكير النقدي والفهم بدل الانزلاق نحو الأتمتة (L'automatisation).

من خلال هذه الخلفية المرجعية، يتضح أن التوصية لا تكتفي بتسجيل حضور الذكاء الاصطناعي داخل التعليم، بل تدرجه ضمن دائرة المسؤولية العمومية. فالمدرسة، بحكم وظيفتها في بناء الإنسان والمعرفة والقيم، لا يمكن أن تترك علاقتها بالذكاء الاصطناعي لمنطق السوق الرقمية، ولا للاجتهادات الفردية، ولا لاستعمالات عفوية متفاوتة بين الأسر والمؤسسات والمجالات الترابية. ذلك أن ترك هذا التحول خارج التأطير المؤسساتي والتربوي قد يجعل الصمت العمومي نفسه اختيارا ضمنيا، تتشكل على أساسه أنماط جديدة من التعلم والتفكير والسلوك دون وعي كاف بعواقبها.

ينبني تشخيص الوثيقة على تمييز أساسي بين الرقمنة والذكاء الاصطناعي. فالرقمنة تشير إلى توظيف التكنولوجيات الرقمية في الولوج إلى المعلومات وتبادلها ومعالجتها، أما الذكاء الاصطناعي فيحيل إلى أنظمة قادرة على معالجة المعطيات، وتوليد المحتوى، ودعم القرار، ومحاكاة بعض وظائف التفكير البشري. ومن ثم، فإن الذكاء الاصطناعي يمثل امتدادا للتحول الرقمي وتجاوزا له في الآن نفسه، لأنه لا يكتفي بتيسير الوصول إلى المعرفة، بل يشارك في إنتاجها وصياغتها وتوجيه التفاعل معها. وهذا ما يجعل المسألة أكثر تعقيدا من مجرد توفير تجهيزات أو منصات أو ربط رقمي؛ إنها تتعلق بتغير عميق في طبيعة الوساطة المعرفية نفسها.

لقد أفرزت الرقمنة، خلال السنوات الماضية، ممارسات رقمية متنامية لدى المتعلمين، أصبحت جزءا من تجربتهم اليومية، لكنها لم تستند دائما إلى تعلم ممنهج ومستدام أو إلى تأطير بيداغوجي كاف. ومع دخول الذكاء الاصطناعي، تضاعفت حدة هذا التحدي، لأن المتعلم لم يعد يتعامل فقط مع مصادر للمعلومة، بل مع أدوات قادرة على توليد نصوص، واقتراح حلول، وصياغة أجوبة، وتقديم استدلالات جاهزة. هنا تبرز المفارقة التي تشدد عليها التوصية: استعمالات متسارعة وواسعة ومبكرة داخل البيئة الرقمية للأطفال واليافعين والشباب، يقابلها تأخر واضح في بناء إطار مؤسساتي وتربوي ناظم يحدد الشروط، والحدود، والمسؤوليات، والضمانات.

لقد أصبح الذكاء الاصطناعي حاضرا في الهواتف الذكية، والمنصات الرقمية، ومحركات البحث التوليدية، والتطبيقات التعليمية وشبه التعليمية، داخل المدرسة وخارجها. ولا يعني هذا الحضور بالضرورة استعمالا واعيا أو مباشرا لهذه التقنيات، بقدر ما يعكس تداخلها المتزايد مع الخدمات الرقمية التي أصبحت جزءا من الحياة اليومية للمتعلمين. فالأمر لم يعد مقتصرا على البحث عن المعلومة، بل بات يشمل إنتاج محتوى جاهز، وإنجاز بعض الواجبات، وصياغة النصوص، وتلقي حلول فورية. وهذا التحول يعيد تشكيل علاقة المتعلم بالمعرفة، وبالجهد الذهني، وبزمن التعلم، وبمسارات بناء الفهم.

وتؤكد الوثيقة أن الذكاء الاصطناعي دخل فعليا إلى الفضاء التربوي. فقد بدأت أدواته تستعمل من قبل المتعلمين والمدرسين في سياقات تعليمية مختلفة، سواء في البحث عن المعلومات، أو إعداد الموارد، أو إنجاز الأنشطة الدراسية، أو صياغة النصوص. وهذا الدخول لا ينبغي أن يفهم باعتباره مجرد إضافة تقنية، بل باعتباره عاملا قد يؤثر في طرائق التعلم وإنتاج المعرفة داخل المؤسسات التعليمية. فالاستعمال سبق التنظيم، والممارسة سبقت التقعيد، والواقع الرقمي يتقدم بسرعة أكبر من قدرة المؤسسات على المواكبة. ومن هنا تنبع الحاجة إلى تدخل عمومي إرادي وعاجل، لا من أجل كبح التحول، بل من أجل توجيهه وضبط آثاره الممكنة.

ولا تغفل التوصية وجود مبادرات قطاعية مهمة داخل التربية الوطنية والتعليم العالي والتكوين المهني. ففي قطاع التربية الوطنية، تتعدد المشاريع المرتبطة بالبنية التحتية الرقمية، وتثمين البيانات التربوية، وتطوير المنصات، وتنمية الكفايات الرقمية، واستعمال بعض تقنيات الذكاء الاصطناعي في تحليل المعطيات ورصد مخاطر الانقطاع المدرسي ودعم القرار. وفي التعليم العالي، يتزايد حضور الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي والتكوين الجامعي، سواء من خلال مسالك وتخصصات مرتبطة بعلوم البيانات والذكاء الاصطناعي، أو من خلال استعمال هذه الأدوات في إنتاج المعرفة. أما في التكوين المهني، فتظهر إمكاناته في المحاكاة المهنية، والتكوين العملي، ومواكبة التحولات السريعة في المهن والكفايات المطلوبة في سوق الشغل. غير أن هذه الدينامية،

على أهميتها، تظل متفرقة ومحدودة الأثر ما لم تنتظم ضمن تصور شمولي مؤطر، يميز بوضوح بين ما يرتبط بالرقمنة من بنيات ومنصات ومعطيات، وما يتعلق بالذكاء الاصطناعي من تحليل تنبؤي وتوليد ودعم للقرار.

غير أن التوصية لا تنظر إلى هذا التحول من زاوية المخاطر وحدها. فهي تقر بأن الذكاء الاصطناعي يحمل إمكانات تربوية واعدة، متى جرى تأطيره وتوجيهه. فهو قادر على دعم تنويع المقاربات البيداغوجية، وتعزيز التفاعل داخل الفضاءات التعليمية، وإتاحة صيغ جديدة للتعلم الذاتي والموجه، وفتح آفاق متقدمة لتفريد التعلمات، ومساعدة المدرسين على مواكبة الفوارق الفردية، وتوفير أنشطة للتثبيت والاستدراك والتقوية. كما يمكن أن يسهم في توسيع الولوج إلى موارد تعليمية متنوعة وعالية الجودة، وفي تجديد الممارسات التربوية وأساليب التكوين والتقييم، وفي تحسين تدبير البيانات التربوية والارتقاء بجودة أداء المرفق العمومي للتربية. لكن الوثيقة تشدد، في المقابل، على أن هذه الإمكانات لا تتحقق تلقائيا؛ فهي تظل رهينة بوجود تأطير تربوي ومؤسساتي واضح، داخل استراتيجية وطنية مندمجة تضمن أن يكون الذكاء الاصطناعي في خدمة التعلم لا بديلا عنه.

وتبلغ الوثيقة أعلى درجات عمقها حين تجعل من جوهر التعلم مدخلا مركزيا لتحليل الرهانات. فالذكاء الاصطناعي التوليدي لا يوفر معلومات فحسب، بل ينتج إجابات ونصوصا واستدلالات جاهزة. وهذا قد يؤدي، في حالة الاستعمال المبكر وغير المؤطر، إلى إضعاف عمليات ذهنية أساسية يفترض أن تبنى تدريجيا عبر التعلم، مثل القراءة، والكتابة، والحساب، والتحليل، والتركيب، والتجريب، والخطأ، والتصحيح. فالخطأ، في المنطق التربوي، ليس خللا ينبغي محوه، بل لحظة أساسية في بناء الفهم. والمحاولة ليست مضيعة للوقت، بل كلفة معرفية ضرورية لاكتساب الاستقلالية الفكرية. لذلك تحذر التوصية من أن الاعتماد المفرط على الحلول الجاهزة قد يربك علاقة المتعلم بالمعرفة، ويحد من قدرته على بنائها تدريجيا اعتمادا على جهده الذهني الخاص.

تنبع أهمية هذا التنبيه من أن المدرسة المغربية تخوض أصلا معركة ترسيخ التعلمات الأساس، وتقليص الفوارق، وتجويد الكفايات اللغوية والمنهجية. فإذا دخل الذكاء الاصطناعي إلى هذا السياق دون تأطير، فقد يتحول من فرصة إلى عامل إضافي لتعميق الهشاشة المعرفية. أما إذا جرى توجيهه بيداغوجيا، فقد يصبح سندا للاستدراك، ورافعة للإنصاف، وأداة لتكييف الدعم، وموردا لتقوية المتعلمين المتعثرين. الفاصل إذن ليس في التقنية نفسها، بل في شروط استعمالها، وفي موقعها داخل الفعل التربوي، وفي قدرة المدرسة على تحويلها من أداة لإنتاج الجواب السريع إلى وسيلة لبناء التفكير العميق.

وتتجنب التوصية السقوط في مقاربة موحدة لجميع الأعمار والأسلاك. فهي تنبه إلى ضرورة اعتماد مقاربة متدرجة ومتمايزة حسب المراحل التعليمية والخصائص النمائية للمتعلمين. ففي التعليم الابتدائي، تكون الأولوية للحماية القصوى وبناء الأسس المعرفية واللغوية، لأن هذه المرحلة تشكل قاعدة النمو المعرفي اللاحق. وفي التعليم الثانوي، يتقدم رهان تنمية الحس النقدي والاستقلالية الفكرية والقدرة على فهم آليات اشتغال أدوات الذكاء الاصطناعي وحدودها وتحيزاتها. وفي التعليم العالي، تبرز إمكانات دعم البحث العلمي وتحليل المعطيات وإنتاج المعرفة، لكنها تقترن بتحديات النزاهة الأكاديمية ومصداقية الشهادات وأخلاقيات البحث. أما في التكوين المهني، فيرتبط الرهان بمواكبة التحولات المتسارعة في عالم الشغل، وبناء كفايات مهنية جديدة تجعل المتدربين قادرين على التفاعل مع بيئات عمل متغيرة.

وفي قلب هذه الرهانات جميعها يوجد المدرس. فالوثيقة، وهي تؤكد عدم تعويض الدور التربوي للمدرس، تعيد الاعتبار إلى الفعل الإنساني داخل المدرسة. فالمدرس ليس ناقلا للمعلومات حتى تحل محله أداة توليدية، بل هو وسيط معرفي، وموجه، ومرب، ومقوم، ومنظم للتفاعل، وحارس للمعنى داخل الفصل الدراسي. ولذلك فإن أي إدماج للذكاء الاصطناعي لن ينجح إذا تعامل مع المدرسين كمنفذين لتعليمات تقنية، أو كملحقين بأدوات رقمية جاهزة. المطلوب هو تمكينهم تكوينا ومهنيا وأخلاقيا، حتى يصبحوا قادرين على فهم هذه الأدوات، واختيار الملائم منها، وتقدير حدودها، وكشف تحيزاتها، وإدماجها داخل وضعيات تعلم حقيقية تخدم بناء الكفايات ولا تختزل التعلم في الحصول على جواب.

ويمتد هذا الرهان إلى التقويم. فالذكاء الاصطناعي التوليدي يجعل كثيرا من صيغ الواجبات والإنجازات التقليدية قابلة للإنتاج الآلي، وهو ما يفرض مراجعة عميقة للمنطق التقويمي. لم يعد كافيا أن يقيس التقويم المنتوج النهائي وحده، لأن هذا المنتوج قد يكون ثمرة استعانة غير مصرح بها أو اعتماد مفرط على أداة ذكية. ينبغي أن ينتقل التقويم إلى تتبع مسار الإنجاز، وقياس الفهم، والقدرة على الشرح، والحجاج، والتحقق، والنقد، وتوظيف المعرفة في وضعيات جديدة. كما ينبغي أن يتعلم المتعلمون قواعد الاستعمال النزيه والمسؤول لهذه الأدوات، بما يجعل النزاهة الأكاديمية والتربوية جزءا من ثقافة التعلم، لا مجرد موضوع للعقاب والمنع.

وتتخذ الرهانات بعدا استراتيجيا حين تثير الوثيقة مسألة السيادة الرقمية والمعرفية. فالذكاء الاصطناعي لا يشتغل في فراغ لغوي وثقافي، بل يقوم على بيانات ونماذج ومضامين طورت في سياقات عالمية غير متكافئة، يغلب عليها الحضور القوي للغة الإنجليزية، مقابل حضور أضعف للغات أخرى، وفي مقدمتها العربية والأمازيغية. وهذا يطرح إشكالا مضاعفا بالنسبة للمدرسة المغربية، لأنها مطالبة باستعمال أدوات قد لا تعكس بالضرورة خصوصياتها اللغوية والثقافية والتربوية. لذلك فإن السيادة المعرفية لا تعني الانغلاق، بل القدرة على الفهم والاختيار والتكييف والإنتاج، وتطوير بحث علمي وطني في استعمالات الذكاء الاصطناعي، وبناء موارد ونماذج ملائمة للمنهاج المغربي، وللقيم الدستورية، ولحاجات المتعلمين.

إن التحكم في المعطيات والبنيات التحتية الرقمية، وضمان حماية البيانات الشخصية، واعتماد حلول مصادق عليها تربويا وقانونيا، ليست مسائل تقنية ثانوية، بل شروط للثقة داخل الفضاء التربوي. فالذكاء الاصطناعي في التعليم قد يتعامل مع معطيات حساسة تخص مسارات المتعلمين، وصعوباتهم، ونتائجهم، وسلوكاتهم، وقدراتهم. ولا يمكن للمدرسة أن تتحول إلى مختبر مفتوح لمنصات تجمع البيانات دون وضوح في الأهداف والضمانات والمسؤوليات. لذلك تشدد الوثيقة على ضرورة وضع إطار ناظم يضمن حماية المعطيات، ويحدد شروط استعمالها، ويربط الابتكار بالمسؤولية، والتجريب بالتقييم، والاستعمال بالضمانات القانونية والتربوية.

وانطلاقا من هذا التشخيص، تقترح التوصية مرتكزات توجيهية لتأطير استعمال الذكاء الاصطناعي في التربية والتكوين والبحث العلمي. فهي تدعو، أولا، إلى إطار مؤسساتي وتنظيمي يضمن انسجام التدخلات، ويمنع تشتت المبادرات، ويحول دون تحول الاستعمالات الجارية إلى أمر واقع يصعب تداركه. وهذا الإطار لا ينبغي أن يكون مجرد إعلان عام، بل يجب أن يتضمن مبادئ واضحة، وآليات للحكامة، ومعايير للمصادقة على الحلول، ومسؤوليات محددة، وقواعد لحماية المتعلمين والمعطيات، وتوجيهات عملية للفاعلين التربويين.

وتدعو الوثيقة، في هذا المستوى، إلى تنظيم السوق التربوية الرقمية. فالقطاع الخاص يمكن أن يكون فاعلا مهما في الابتكار وتطوير الحلول، غير أن انخراطه يجب أن يتم داخل سوق منظمة ومؤطرة من طرف الدولة، لا داخل فضاء مفتوح تحكمه فقط منطق الربح وسرعة الانتشار. لذلك يصبح التصديق على الأدوات والحلول التكنولوجية أمرا ضروريا، بناء على معايير الجودة البيداغوجية، وحماية المعطيات، واحترام القيم التربوية، وملاءمة الموارد لحاجات المنظومة. وبهذا المعنى، لا تعادي التوصية الابتكار، لكنها ترفض أن يكون الابتكار خارج الضبط التربوي والمؤسساتي.

وتؤكد التوصية، ثانيا، ضرورة اعتماد مبادئ مؤسسة لمقاربة استعمال الذكاء الاصطناعي داخل المنظومة التربوية. وفي مقدمة هذه المبادئ أن تكون التقنية في خدمة تحسين جودة التعلمات، وتعزيز الإنصاف، وتمكين المتعلمين من فاعلية واعية داخل البيئة الرقمية، مع صون الدور الإنساني للمدرس وترسيخ موقع المدرسة باعتبارها فضاء لإنتاج المعرفة وبناء المعنى. وهذا يعني أن معيار النجاح لا يقاس بعدد المنصات أو كثافة الأدوات، بل بالأثر الفعلي على التعلم، وعلى تقليص الفوارق، وعلى بناء الكفايات النقدية والمنهجية والقيمية.

وتبرز، ثالثا، الحاجة إلى ربط التدبير الآني بالأفق الاستراتيجي. فالتوصية لا تدعو إلى انتظار إصلاحات بعيدة المدى قبل التحرك، كما لا تدعو إلى استجابات متسرعة محكومة بمنطق رد الفعل. المطلوب هو تدبير انتقالي ذكي، قائم على اليقظة والاستشراف، وعلى التجريب المضبوط، وتقييم الأثر، وتدرج التعميم، وإنتاج معرفة ميدانية وطنية حول أثر الذكاء الاصطناعي في التعلمات والممارسات والتقويم والحكامة. فالتحول سريع، لكن المدرسة لا يمكن أن تدار بالسرعة وحدها؛ إنها تحتاج إلى زمن تربوي، وإلى أدلة، وإلى مشاركة الفاعلين، وإلى قدرة دائمة على التصحيح.

وتلح الوثيقة، رابعا، على البعد المجتمعي. فالذكاء الاصطناعي لا يستعمل داخل المدرسة وحدها، بل يحضر في البيت، ووسائل الإعلام، والفضاءات الرقمية المفتوحة، ومحيط الأقران. لذلك لا يمكن لأي إطار وطني أن ينجح إذا ظل محصورا داخل الإدارة التربوية أو داخل المؤسسات التعليمية. ينبغي تحسيس الأسر، وتعبئة الفضاءات التربوية والاجتماعية، وإنتاج موارد مبسطة تساعد الآباء والأمهات على مواكبة أبنائهم، وتوضح مخاطر الاستعمال غير المؤطر، وفرص الاستعمال الواعي والمسؤول. فجزء كبير من علاقة المتعلم بالذكاء الاصطناعي يتشكل خارج الفصل، وهذا يفرض توسيع دائرة التأطير لتشمل الأسرة والمجتمع.

وتمنح التوصية، أخيرا، موقعا مهما لمشاركة المتعلمين. فالطفل أو اليافع أو الطالب لا ينبغي أن يعامل فقط بوصفه موضوعا للحماية، بل بوصفه فاعلا ينبغي تمكينه من فهم هذه الأدوات، ومساءلة مخرجاتها، والتمييز بين الاستعانة المشروعة والاعتماد الذي يفرغ التعلم من معناه، ومعرفة حدود الذكاء الاصطناعي وتحيزاته وأخطائه الممكنة. إن بناء ثقافة رقمية نقدية لدى المتعلمين هو المدخل الحقيقي لجعلهم قادرين على ممارسة حريتهم داخل البيئة الرقمية بمسؤولية، بدل الاكتفاء بمنع خارجي قد يفقد فعاليته أمام سرعة التحول واتساع الاستعمالات.

في المحصلة، تقدم توصية المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي وثيقة ذات أهمية خاصة لأنها لا تجعل الذكاء الاصطناعي موضوعا تقنيا منفصلا عن سؤال الإصلاح، بل تضعه في قلب المشروع التربوي الوطني. فهي تعيد ترتيب الأولويات بوضوح: الإنسان قبل الآلة، والتربية قبل التقنية، والتعلم العميق قبل الجواب السريع، والسياسة العمومية قبل السوق، والإنصاف قبل التفاوت، والسيادة المعرفية قبل التبعية الرقمية. ومن ثم، فإن قوة هذه التوصية لا تكمن فقط في تشخيصها، بل في قدرتها على بلورة منطق تدخل عمومي متوازن، يجمع بين الاستعجال والحذر، وبين الانفتاح والضبط، وبين الابتكار والحماية.

لقد دخل الذكاء الاصطناعي فعليا إلى المدرسة المغربية، سواء عبر ممارسات المتعلمين، أو اجتهادات المدرسين، أو المبادرات القطاعية، أو الخدمات الرقمية المفتوحة. ولم يعد السؤال اليوم هو السماح أو المنع في المطلق. السؤال الحقيقي هو كيف يمكن تحويل هذا الدخول من واقع عفوي متفاوت إلى مسار مؤطر ومنصف وواع. كيف نضمن ألا يضعف الذكاء الاصطناعي الجهد الذهني؟ كيف نجعله سندا للتعلم لا بديلا عنه؟ كيف نحمي الطفولة والمعطيات والنزاهة الأكاديمية؟ كيف نمكن المدرسين من توظيفه دون أن ينتقص من دورهم؟ وكيف نؤسس سيادة رقمية ومعرفية تجعل المدرسة المغربية قادرة على الاختيار والإنتاج لا مجرد الاستهلاك؟

تجيب التوصية عن هذه الأسئلة بمنطق متزن: لا مدرسة خائفة من الذكاء الاصطناعي، ولا مدرسة خاضعة له، بل مدرسة قادرة على توجيهه وتأطيره واستثماره في خدمة مشروع تربوي وطني منصف وإنساني وذي جودة. فالذكاء الاصطناعي، في نهاية المطاف، لا يكتسب قيمته من قدرته على إنتاج الأجوبة، بل من قدرته، حين يؤطر بوعي، على مساعدة المدرسة في بناء متعلمين قادرين على طرح الأسئلة، وفهم العالم، وممارسة التفكير النقدي، وتحمل المسؤولية في مجتمع تتسارع فيه المعرفة وتتغير فيه شروط التعلم والعمل والمواطنة.

لحسن أحمامة

عبد الله تغزري (المنصوري)

الغائب الحاضر بيننا

في أواخر صيف 1974 و أنا في بدايات مراهقتي، أرسلتني أسرتي عند عائلة، صديقة لنا، تقطن بكريان بنعبيد (طماريس) لقضاء بعض الوقت برفقة عبد الرحمان، أحد أبناء هذه عائلة، يكبرني بحوالي سنتين أو ثلاث. لم تكن طماريس في تلك الفترة على النحو الذي عليه الآن بعد أن اجتاحها الإسمنت و الآجور، و غاب كل ما يغري فيها. كل صباح نتوجه، أنا وعبد الرحمان، إلى شاطيء طماريس 2 إما على دراجة نارية من نوع بيجو سيتي، أو مترجيلن. عادة ما يكون الشاطيء في تلك الفترة شبه فارغ ماعدا أبناء كريان بنعبيد المهووسين بالصيد على متن إطار داخلي لعجلة الجرار. و على مسافة غير كبيرة على الرمل تصطف العربات الكبيرة، لعائلات ميسورة أو لبعض الأوروبيين، مقابلة زرقة الماء.

ولما كان بعض الشبان من أبناء المنطقة يشتغلون في المخيم الدولي طماريس2، لم نكن أنا وصديقي نجد مشكلة في الولوج إليه، نستغل الفرصة للسباحة في المسبح. كانوا يسمحون لنا بالتجول في المخيم، أو لنقل يتغاضون عنا ربما لصغر لستنا. أحيانا ندلف إلى المطعم والبار لنلقي نظرة على جميع مكوناته. في تلك الفترة، على ما أتذكر، كان المسؤول عن المخيم هو ولد لاخيري قبل أن يعهد به إلى الجماعة.

مرة و نحن، أنا وعبد الرحمان، في المخيم، اقتربنا من البار، التفت إلي وقال:

- هل ترى ذاك الرجل الأسود المتكيء على الكونتوار؟

- نعم. أراه.

- إنه أستاذ لمادة الفلسفة، و اسمه تغزري.

أمعنت النظر إليه، شاب في عقده الثالث، بلحية فاحمة، ونظارتين طبيتين سميكتين. بدا لي آخذا في الحديث مع شخص آخر، ولم أحدق فيه جيدا. ربما لأن لفظة «فلسفة» في ذاك الإبان كانت من القوة بحيث كانت تصيبنا بالدهشة والإعجاب من جهة، وبعدم التفكير فيها والابتعاد عنها بعد أن ربطها كارهوها عن قصد، أو المتوجسون منها، بلفظة «الإلحاد»، من جهة أخرى.

في غمرة طيش المراهقة، والنزق، واللامبالاة، نسيت الاسم وصاحبه، من دون أن أعرف أنه سيظل محفورا في ذاكرتي، إلى أن اشتغلت بالصحافة في النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي، مما جعلني أتعرف على مجموعة من المثقفين والفنانين، والمسرحيين، من بينهم الناقد المسرحي عبد الله تغزري. توثقت علاقتي به لدرجة أننا كنا غالبا ما نلتقي في مقهى موريطانيا كل صباح بعد أن توقفتُ عن العمل لمدة قصيرة قبل أن ألتحق بسلك التعليم. و بين الفينة و الأخرى كان يزوره صديقه الحميم، الراحل محمد مؤيد. يستأذننا تغزري ويجلسان معا، وغالبا ما تطول جلستهما.

سأعرف بعد سنوات طويلة، من خلال أحاديثنا، أنه رأى النور بكريان كرلوطي، درب السلطان، الحي الذي كان فيه مسقط رأسي، و كان من بين معارفة أبي. بعد ذلك، سترحل الأسرة إلى درب البلدية، ثم إلى درب بلعالية، و تقيم بإحدى العمارة، أمه، رحمها الله، تقيم في الطابق الأول و عبد الله في الطابق الثاني، و هو الذي كان يؤدي إيجار الشقتين. كانت شقته مزار العديد من الأصدقاء.

سيلتحق تغزري بالتعليم سنة 1967، لتدريس الفلسفة في السلك الثاني، و يعود إلى ثانوية الأزهار المقابلة لثانوية مولاي عبد الله، و هي المؤسسة التي درس به على يد الأستاذ مصطفى العمري الذي ألف بمعية عابد الجابري، و أحمد السطاتي، مقرر الفلسفة. في سنوات الرصاص، سيعهد له بإدارة المؤسسة التعليمية الخصوصية عبد الكريم الخطابي، بشارع الفداء عقب اعتقال بعض المناضلين الذين كانوا يدرسون بها. في هذه الفترة زاوج تغزري بين التدريس، و تسيير إدارة هذه المؤسسة الخصوصية، و الكتابة في جريدة « المحرر»، قبل أن تتحول إلى جريدة «الاتحاد الاشتراكي»، حيث كان يكتب زاوية قارة عنوانها «زاوية حادة». و لما تأسست جريدة «الأحداث المغربية»، سيشرع في نشر مقالات في النقد المسرحي. كل هذه المقالات المنشورة في الجريدتين لعبت دورا كبيرا في المشهد المسرحي بالمغرب، و كما انتمى في وقت مبكر إلى اتحاد كتاب المغرب.

لم يكن عبد الله تغزري من تلك الطينة التي تجامل أو تنافق، أو تتزلف. رجل، من أصول صحراوية، حاد الطبع، مثل زاويته، و ذو صراحة قل نظيرها، و سرعة بداهة تجمع بين السخرية السوداء و الفكاهة. حدث مرة أن عيره أحد تلامذته بلون بشرته، في اليوم التالي، توجه إلى التلميذ و هما في قاعة الدرس، و أخبره بأن ما تلفظ به لم يكن سبابا بقدر ما كان توصيفا لبشرته. لم تكن جلساته تخلو من متعة مفيدة، و نادرا جدا ما يغضب إذا ما انتقد شخص ما لون بشرته أو هندامه. و الواقع أنني كنت أستفزه، و أدفعه للحديث عن تجربته في الصحافة و المسرح رغم أن قرر عدم الخوض في هذه الأمور، بعد أن أدار له بعض ممن تتلمذوا على يده ظهر المجن. وأكاد أقول إن التذمر من كل شيء قد نخره من الداخل، على أن ذلك لم يصيره عدميا. لكن يكفي أن تثار أمامه أسماء معينة حتى تستبد به سورة غضب لا تطفئها إلا نكتة أو تقمعها قفشة، أو نغير الموضوع.

قبل مدة طويلة، التقيته بمقهى هيلتون بشارع بني امكيلد، بعد أن رحل من سكنه القديم، أسر إلي بأنه ألف ثلاث روايات: «عندما تحدثنا عيناك»، و «الحاج قدور: أبو النور يظهر و لا يختفي» و « رموش في المزاد: حضور البهاء، جذور الدهاء» و هي روايات ذات أبعاد سياسية، اقترحها على أحد الناشرين، و ما زال ينتظر الرد إلى حد تلك الساعة. بدا لي في صوته بعض الوهن من غير أن يفقد حدته و سخريته المعهودتين. أما ما نشره من قبل، في شكل كتيبات حول السياسة و النقد المسرحي، فقد كان جلها، على ما أعتقد، على نفقته، من بينها: «اتجاهات المسرح المغربي: الممكن و المستحيل (تسربات من ذاكرة القرابة)»، و «القيم بين الثقافة و التربية (نموذج المكتبة المدرسية)»، و «مقدمات لكل ديمقراطية مقبلة»، و جدل الإرهاب و المقاومة»، و بين إيديولوجية العقيدة و إيديولوجية الهيمنة»، و «المغرب السياسي إلى أين؟» و الواقع أنني لم أطلع على أية واحدة من روايته، لكنني يبدو لي أنه كتبها بهدف توثيق تجربته السياسية، و ربما أيضا لتصفية حساباته مع بعض الأشخاص، مقتنعا بأن من أراد أن يتفاداه الناس، ما عليه إلا أن يقول الحقيقة. كان هذا ديدنه، و أسلوبه في التعامل مع الآخرين، يكره العلاقات المبنية على الانتهازية، و يرى أن الصداقة تقف عند حدود العلاقات الإنسانية. لم يكن تغزري يخشى في الله لومة لائم، و أعتقد من خلال صداقتي به، رغم فارق السن بيننا، أنه كان يدرك جيدا أن حدة طبعه و مواقفه الثابتة سوف لن تتوافق البتة مع واقع تفشى فيه الرياء و المجاملات الزائفة، و كل ما ينسف جوهر الصداقة الصادقة. يخيل إلي أنه يقول في نفسه: أخسر العالم كله، و أربح ذاتي. و فوق ذلك، كان يمنطق كل شيء في الحياة إلى درجة العبث. أتذكر مرة حكى لي فيها عن لقاء له مع القاصة المغربية رفيقة الطبيعة (زينب فهمي)، حين سألته إن كان يمتلك شقة أو دارا، كان جوابه أن تلك الجدران لن تسأله يوما إن كان هو مالكها أم لا.

لروحه السكينة و السلام.